تحقيق الاتِّصال الحضاري من خلال تعليم اللُّغة
–قراءة في نموذج ألماني-

د. محمد بودبان

ملخص

تهدف هذه المقالة إلى توضيح كيفيَّة كون تعليم اللُّغة –وتحديدًا للنَّاطقين بغيرها– إحدى أهمّ الوسائل في إحداث التواصل مع الآخر على المستوى الحضاري. حيث يصاحب تعليمُها وقفَ الآخر على المعالم الحضاريَّة له؛ والخصائص الاجتماعيَّة للأمَّة الناطقة بها؛ والمظاهر الثقافيَّة التي تحياها مختلف فئاته الاجتماعيَّة. وتتَّخذ هذه المقالة نموذجًا ألمانيًّا هو برنامج: « اللغة الألمانيَّة، لم لا؟ Deutsch warum nicht »؛ والذي يعبِّر بقوَّة عن طريقة الألمان في تعليم لغتهم للنَّاطقين بغيرها؛ حيث تكون بطريقةٍ تفاعليَّة، تنصهر فيها مختلف مكوِّناتهم الحضاريَّة والثقافيَّة والاجتماعيَّة؛ بل وحتَّى النَّفسيَّة؛ بحيث تكون النَّتيجة في الأخير ارتباطًا للمتعلِّم بحضارة المعلِّم في مختلف بيئاته؛ وتحقيق أروع النتائج في الإتقان العميق للغة من خلال التحكُّم في مفصليَّاتها الدقيقة المكتسبة بطريقة غير مباشرة؛ وأكثر من ذلك: فهم الآخر، من طريق لغته.

Abstract

This article aims to clarify how the fact that language teaching –to non native speakers- is one of the most important means to make a fruitful communication with the other, on the cultural level. The current article tried to reach the goal by studying a German model: « Deutsch warum nicht ? (German, why not?) » Which expresses the german's interactive manner to teach their language to non-native speakers, by employing the different components of their civilization, as well as the main aspects of daily life. All this leads, not only to a deep and perfect learning of the language; but also to better understand the other.

مقدِّمة.

إنَّ صفحات التَّاريخ تفسِّر وقائعيًّا قول الحقِّ تبارك وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُواْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[1]. وقولَهُ جلَّ وعلاَ: ﴿ **وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لأَيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ**﴾[2]. حيث إنَّ العوامل التي ألجأت الأفراد أن يتواصلوا ويتخاطبوا؛ هي العوامل ذاتُها التي تلجئ الجماعات إلى التواصل فيما بينها؛ وإن اختلفت آلياتُها ومظاهرها والأغراض منها.

ومظاهر الاختلاف الكثيرة والشديدة بين البشر، في الجنس واللون، واللِّسان، والعرق، والدِّين والثقافة، والأعراف ونحوها من الفروق، كلُّ ذلك يضع عقباتٍ أمام التواصل بين المختلِفِين؛ وإنَّما أُمرنا أن نجعل ذلك الاختلاف مثمرًا؛ واستثماره إيجابيًّا لخير البشريَّة جمعاء.

وممَّا لا شكَّ فيه، أنَّ اللغة أعظم وسيلةٍ في تحقيق التواصل، وفي التثاقف الحضاري بين الكتل البشريَّة المختلفة؛ ولمَّا كان لكلِّ حضارة قيمها، وتميُّزها في مكوِّناتِها، وكان الاتِّصال فيما بينها ضرورةً ملحَّةً؛ كان لا بدَّ من تعلُّم كلِّ قوم للغاتٍ أجنبيَّةٍ عنهم، لاستجلاب المنافع ودفع المضار؛ ولا سبيل إلى تحقيق تلك الأغراض إلاَّ بتجويد طريقة الإلمام باللغة وحضارة أصحابها، وحياتهم اليوميَّة، ومؤسَّساتهم وأنماطهم الاجتماعية، والثقافيَّة والدِّينيَّة...الخ.

وسوف نحاول في هذه المقالة تسليط الضوء على التجربة الألمانيَّة في عملية التواصل مع الذي يعلِّمونه لغتهم؛ حيث يمزجون بين تعليم اللغة وإكساب الثقافة. فيصير المتعلِّم في نهاية التعليم مكتسبًا للغة؛ مندمجًا في المجتمع الألماني، وإن بشكلٍ جزئيٍّ.

المبحث الأوَّل: الاتِّصال الحضاري من طريق اللغة.

إذا كان إدراك ماهيَّات الأشياء؛ وإسقاط الأحكام المتوافقة مع حقائقها، لا يكون إلاَّ من خلال ضبط المصطلحات، والإحاطة بمعانيها، وتتبُّع الدلالات؛ فلتكن البَداءةُ بتحديد المفاهيم، كالآتي:

أوَّلا: مفهوم اللُّغة.

1- الحجرات: 13.

2- الروم: 22.

أ-**من حيث اللغة**: لغي بالأمر، إذا لَهِجَ به؛ ويُقالُ: إنَّ اشتِقاقَ اللُّغَةِ منه، أي يَلْهَجُ صاحِبُها بها[1].

ب- **من حيث الاصطلاح**: أصواتٌ يُعبِّرُ بها كلُّ قومٍ عن أغراضِهِم[2]؛ ويمكن تعريفها بأنَّها اتِّصالٌ عن طريق الرُّموز[3]. وبمعنًى مجازيٍّ -يستخدم عند الفلاسفة- هي القدرةُ على التواصل؛ حتَّى بواسطة أنظمةٍ أخرى غير اللُّغات الطبيعيَّة (وظيفة رمزيَّة).[4]

ثانياً: مفهوم الحضارة.

أ- من حيث اللُّغة: الحضر خلاف البداوة[5]؛ والحضارة الإقامة في الحضر[6].

ويمكننا أن نستنبط من كون الحاضرة مشهودةٌ -كما هو أصل المادَّة- أنَّه يشهدها ويؤمُّها ويسكنها كثرةٌ من النَّاس، وإذا كثر النَّاس كثرت مظاهر حياتهم الاجتماعيَّة وتعقَّدت، وازدادت متطلَّباتهم الحياتيَّة، والحاجة أصل الاختراع، ثمَّ من التشابكات المختلفة تنشأ الحضارة بمفهومها المعاصر.

ب- من حيث الاصطلاح:

يعرِّفها صاحب قصَّة الحضارة فيقول: الحضارة نظامٌ اجتماعيٌّ يُعين الإنسان على الزِّيادة من إنتاجه الثقافي؛ وإنَّما تتألَّف الحضارة من عناصر أربعة: الموارد الاقتصاديَّة، والنُّظم السياسيَّة، والتَّقاليد الخُلُقيَّة، ومتابعة العلوم والفنون[7].

وحقيقة الأمر أنَّ لفظة الحضارة -بإقرار الكثير من الباحثين- من الألفاظ التي اضطربت فيها مفاهيم النَّاس؛ وشأنها في ذلك شأنُ الكثير من المفاهيم المتضاربة في عالمنا المعاصر، والسبب في ذلك -في ظنِّي- يعود بالدَّرجة الأولى إلى اختلاف الباحثين والعلماء ومناهجهم، وهم متباينون من حيثُ:

1- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: المقاييس في اللغة؛ ت شهاب الدّين أبو عمرو؛ (دط)، دار الفكر: بيروت- لبنان، (دت)، ص957.

2- مجد الدّين محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ت خليل مأمون شيحا؛ (ط2)، دار المعرفة: بيروت- لبنان، 2007م، ص 1181.

3- ول وايرل ديورانت: قصَّة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، (دط) دار الجيل: بيروت- لبنان، 1988م (1/ 123).

4- معجم اللِّسانيَّات: إشراف جورج مونان؛ ترجمة جمال الحضري، (ط1)، مجد: المؤسسة الجامعيَّة للدراسات والنشر والتوزيع: بيروت- لبنان، 2012م، ص372.

5- المقاييس في اللُّغة، مرجع سابق، ص270.

6- القاموس المحيط: مرجع سابق، ص297.

7- قصَّة الحضارة: مرجع سابق، (1/ 3).

– المنطقة التي ينتمون إليها (الغرب أو الشرق؟).
– الدِّيانة التي ينتمون إليها.
– المدرسة الفكريَّة التي ينتمون إليها؛ ويفسِّرون من خلالها شؤون الوجود.
– الاختصاص (بين علوم المادَّة، والعلوم الإنسانيَّة مثلاً).

وينبغي أن نلحظ الفرق بين الحضارة والمدنيَّة؛ فالحضارة[1] اختراع التِّقنيات والإفادة منها، والمدنيَّة حياةٌ تقدُّمِيَّة في استعمال التِّقنيات من غير أن تخترعها؛ فالحضارة عراقةٌ في الفكر والاختراع والتُّراث والثَّقافة والإمكانيات.

وتنحو الموسوعة الفرنسيَّة: Encyclopedia Universalis إلى حصر المعاني المتباينة في مصطلح الحضارة في ثلاثة أنحاء[2]:

– اتِّجاه الاستعمال العام: ما هو ضدُّ التوحُّش.
– اتِّجاه التَّرادف مع لفظة التمدُّن والحياة الاجتماعيَّة (ما يتعلَّق بوسائل الحضارة).
– اتِّجاه رصد الخصائص التي ترقى بالمجموعات البشريَّة نحو التطوُّر وتَتَبُّع ذلك (معايير الحضارة).

ثالثاً: مفهوم الاتِّصال.

أ–**من حيث اللُّغة:** الواو والصَّاد واللاَّم أصلٌ واحدٌ يدلُّ على ضَمِّ شيءٍ إلى شيءٍ حتَّى يَعلَقَهُ؛ ووصَلتُهُ به وصلاً، والوصل: ضِدُّ الهِجرانِ[3].

ب– من حيث الاصطلاح: هو لا يبعد عن المعنى اللُّغوي؛ إذ هو متعلِّق بما هو ضدُّ الهجران والانقطاع؛ وذلك بحسب السياق والمقصود؛ ولعلَّ ذلك ما حمل صاحب كتاب التعريفات على القول إنَّ :الوصل عطف بعض الجمل على بعضٍ.[4]

والاتِّصال بين الحضارات يكون من خلال مكوِّناتها الدِّينيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والعلميَّة والثَّقافيَّة وسواءٌ كان ذلك التَّواصل بين أجيالٍ من ذات الحضارة –وهو التَّواصل الدَّاخلي– أو بين أجيالٍ من حضاراتٍ

1– ياسين صلاواتي: الموسوعة العربيَّة الميسَّرة والموسَّعة، (ط1)، مؤسَّسة التَّاريخ العربي: بيروت– لبنان، 2001م، (1543/4).

2 -Voir: Encyclopedia Universalis ; editeurs, Paris- France ; 1996,(5/944).

3– المقاييس في اللغة: مرجع سابق، ص1094.

4– كتاب التعريفات، علي بن محمَّد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان: بيروت– لبنان، 1985م، ص273.

شتَّى، وفي هذا يقول ديورانت: « والمدنيَّات[1] المختلفة هي بمثابة الأجيال للنَّفس الإنسانيَّة: فكما ترتبط الأجيال المتعاقبة بعضها ببعضٍ بفضل قيام الأسرة بتربية أبنائها، ثمَّ بفضل الكتابة التي تنقل تراث الآباء للأبناء، فكذلك الطباعة والتِّجارة وغيرهما من ألوف الوسائل التي تربط الصِّلات بين النَّاس، قد تعمل على ربط الأواصر بين المدنيَّات، وبذلك تصون للثقافات المقبلة كلَّ ما له قيمةٌ من عناصر مدنيَّتنا.

ولقد تمَّ تقسيم الاتِّصال الإنساني عدَّة تقسيمات لعدَّة اعتبارات، ويهمُّنا ههنا التقسيم بحسب الأداة المستخدمة فيه، حيث قسم إلى:

1/ الاتِّصال اللَّفظي Verbal communication .

2/ الاتِّصال غير اللَّفظي Nonverbal communication ويقسم إلى ثلاثة أنواع، هي:

أ) لغة الإشارة Sigen language

ب) لغة الحركة أو الأفعال Action language

ت) لغة الأشياء Object language: ويُقصد بها ما يستخدمه مُصدِرُ الاتِّصال –غيرَ الإشارة والأدوات والحركة– للتَّعبير عن معانٍ أو أحاسيس يريد نقلها للمتلقِّي. فالملابس والأدوات الفرعونيَّة التي تستخدم على المسرح –مثلاً– يُقصد من استعمالها نقلُ الإحساس بالجوِّ والزَّمان الفرعوني إلى المشاهِدين لكي يعيشوا فيها طوال عرض المسرحيَّة[2].

وسوف نرى في النموذج المدروس، كيف كان وعيهم بهذه الأدوات في الدرجة العليا.

رابعاً: دور اللغة في الاتِّصال:

يمكنني القول بلا تردُّدٍ: إنَّ الاتِّصال بلا لغةٍ لا يمكن أن يحدث مطلقاً، ومقصودي باللُّغة ههنا ما هو أعمُّ من اللِّسان وعلاماته؛ إلاَّ أنَّ العلامات اللِّسانيَّة هي أساس كلِّ الرُّموز التي يمكن للنَّاس أن يستخدموها في إبلاغ ما يريدون، أو فهم ما يُراد منهم؛ وهذه حجَّة من قال إنَّ اللِّسانيَّات أعمُّ من السيميولوجيا؛ حيثُ إنَّ[3] الألفاظ لم تكن وسيلة التَّفكير الواضح فحسب، بل كانت سبيلاً لإصلاح التَّنظيم الاجتماعيِّ كذلك؛ لأنَّها ربطت بين الأجيال المتعاقبة ربطاً عقليًّا وثيق العرى بأن هيَّأت لهم وسيلة أصلح للتَّربيَّة من جهةٍ، ولنقل

1- قصَّة الحضارة: مرجع سابق، (1/ 8).

2- انظر ذلك كلَّه عند زينب محمود شقير: اضطرابات اللُّغة والتواصل، (ط3)، النهضة المصريّة: القاهرة– مصر، 2002م ص 19-49. ولقد اقتصرت على هذا المرجع بسبب أنَّ المؤلِّفة قد اعتمدت على مجهوداتٍ ثلَّة من الباحثين، وأحسنت الجمع لأقوالهم والتَّأليف بينها، فأغنت عن غيرها.

3- قصَّة الحضارة: مرجع سابق، (1/ 126).

المعارف والفنون من جهةٍ أخرى. فبظهور ألفاظ اللُّغة ظهرت أداةٌ جديدة تصل الأفراد بعضهم ببعضٍ؛ بحيثُ يمكن للمذهب الواحد أو العقيدة الواحدة أن تصبَّ أفراد الشَّعب في قالبٍ واحدٍ متجانس؛ وفتحت طرقاً جديدةً لنقل الآراء وتبادلها، وزادت عمق الحياة زيادةً عظيمة، كما وسَّعت نطاقها ومضمونها.

واللُّغة هي الأداة التي يمكن من خلالها ضبط النُّظُم وفهمها، ونقلها داخليًّا وخارجيًّا، وتطويرها، وإحداث المثاقفات الحضاريَّة فيما بين الأمم؛ ومن دونها يكون النَّاس في فوضى عقليَّة لا يمكنهم الخروج منها، لأنَّ الأفكار تبنيها وتصوغها اللُّغة.

وتعكس اللُّغة ثقافة المجتمع الذي يستخدمها، وتصوِّر بيئته، وتعبِّر عن أفكاره. والعلاقة بين مفردات اللغة خاصّة وثقافة المجتمع علاقة ضرورية؛ ومن ثمَّ كان وجود الألفاظ الأجنبيَّة في لغة من اللغات دليلا على تأثير ثقافة هذا المجتمع في المجتمع الآخر؛ وكان تحديد مجالاتها الدلاليَّة مشيراً إلى مجالات هذا التَّأثير[1].

خامسًا: تحقيق التَّواصل الحضاري من طريق اللغة في الأمَّة الإسلاميَّة قديماً:

إنَّ المحاولات المختلفة لإثبات شيءٍ أو لنفيه من حضارةٍ معيَّنة، لا يصلح فيها –في ظنِّي– المثال والمثالان؛ بل ينبغي فيها رصد أنساقٍ مختلفة من النماذج والأمثلة؛ وأعترف ههنا أنَّني عاجزٌ عن وضع شيءٍ من ذلك فيما يتعلَّق بهذه الجزئيَّة؛ غير أنَّني أرى أنَّه يمكننا رسم وتحديد بعض المحاور، والتي تمكِّننا بعد ذلك من استقراء النَّماذج والأمثلة المتناسبة مع الغرض كالآتي:

1/ محور التَّسامح مع اللُّغات، من دون إقصائها أو القضاء عليها:

فكان العرب يقتبسون من لغات الأمم الأخرى ألفاظاً، تطلق على أشياء حضاريَّة لم تكن لدى العرب، فتسمي العرب تلك الأشياء بأسمائها الأعجميَّة بعد تغييرها بما يجعلها مناسبةً للعربيَّة، كما يفعل العرب الآن في العصر الحاضر وفي كلِّ عصرٍ[2].

وإنَّك لا تجد في تاريخ الإسلام والمسلمين أيَّ حركةٍ للقضاء على لسانٍ ما، والأمر أكثر وضوحاً حينما يتعلَّق بالألسنة التي وجدها المسلمون الفاتحون لدى أهل البلاد المفتتحة، بل تجد كثرةً من علماء تلك البلاد يؤلِّفون بألسنة بلدانهم مع معرفتهم بالعربيَّة، وقد تجد منهم من يجيد الأمرين كالرَّازي صاحب التَّفسير، والذي

1– محمَّد حسن عبد العزيز:التعريب في القديم والحديث مع معاجم للألفاظ المعربة؛ (دط) دار الفكر العربي: القاهرة– مصر، ص 303.

2– رسالتان في المعرَّب لابن كمال باشا أحمد بن سليمان، ومحمَّد بن بدر الدِّين المنشي، ت سليمان إبراهيم العايد، جامعة أم القرى، ص27.

كان خطيباً باللُّغتين: الفارسيَّة والعربيَّة، وتجد علماء الهند المسلمين غالباً ما يؤلِّفون بالأوردويَّة، حتَّى إذا ما وجد من يؤلِّف غالب كتبه بالعربيَّة، عجب النَّاس من أمره، كشأن العلاَّمة عبد[1] الحميد الفراهي رحمه الله تعالى.

بل قد جعل ابن خلدون في مقدِّمته عنوانا للفصل الثالث والأربعين الآتي: "**في أنَّ حملة العلم في الإسلام أكثرهم العجم**"؛ قال: من الغريب الواقع أنَّ حملة العلم في الملَّة الإسلاميَّة أكثرهم العجم، لا من العلوم الشَّرعيَّة، ولا من العلوم العقليَّة إلاَّ في القليل النادر. وإن كان منهم العربيُّ في نسبته، فهو أعجميٌّ في لغته ومرباه ومشيخته. مع أنَّ الملَّة عربيَّةٌ وصاحب شريعتها عربيٌّ... [2]

2/ محور الاقتراض اللُّغوي من دون عقدةٍ:

لم تكن ثمَّ عصبيَّةٌ في الإسلام تزعم أنَّ العرب سادةٌ والأمم خدمٌ كما الشَّأن عند يهود؛ وما وجد من إعلاء شأن اللُّغة العربيَّة –وذلك المنبغي لها– فهو بتشريف الله تعالى لها بكلامه بالقرآن عربيًّا غير ذي عوجٍ؛ ولذلك فهي لغةٌ شريفةٌ، وما اصطفاها الله تعالى إلاَّ وهي أهلٌ للاصطفاء، لما فيها من سعةٍ وخصائص عصيَّةٍ على الحصر، تجعلها أهلاً للإبانة عن الأغراض المختلفة وتحقيق التَّواصل داخليًّا –مع النَّفس– وخارجياً –في أنواع الخطاب المختلفة–

واللُّغة العربيَّة –كأيِّ لغةٍ– تكلَّمت بها جماعاتٌ إنسانيَّة لم تكن معزولةً عن الجماعات الإنسانيَّة الأخرى ذات الألسنة المغايرة، والضرورة الاجتماعيَّة تُحتِّم –ولا بدَّ– أن تتفاعل الألسنة والجماعات لتُحدث اقتراضاتٍ مختلفةٍ في الألسنة وفي العادات والتَّقاليد. غير أنَّك لا تجد في تاريخ الإسلام والمسلمين إنكاراً لوجود المعرَّب، وإخفاء أصول الكلمات؛ وإيَّاك أن تعتقد أنَّ خلاف العلماء في مسألة وجود الأعجميِّ في القرآن الكريم من عدمه من ذلك! فالمسألة مغايرة، والنتيجة واحدة، فالذين قالوا بعدم وقوعه في القرآن العظيم إنَّما قالوا هو من تواطؤ اللُّغات، والذين أثبتوا وقوعه قالوا لـمَّا عرَّبت العرب ما كان أعجميًّا على وفق خصائصها وقواعدها وتكلَّمت به صار الكلام لساناً عربيًّا ولا بدَّ.

1– انظر شيئاً عن ذلك وعنه كلمات محمد أجمل أيوب إصلاحي في التعريف به في مقدِّمة تحقيقه لكتابه: مفردات القرآن (نظراتٌ جديدة في تفسير ألفاظٍ قرآنيَّة)، (ط1)، دار الغرب الإسلامي: بيروت– لبنان، 2002م.

2– عبد الرحمن بن خلدون: المقدِّمة؛ ت خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار؛ (دط)، دار الفكر: بيروت– لبنان، 2001م، ص747–748.

واحتكاك اللُّغات –مثل احتكاك الشُّعوب– ضرورة تاريخيَّة؛ وكما تقترض الشُّعوب مظاهر الثقافة، وما قد يكون خلفها من قيمٍ وأحكام تقترض المفردات التي تشير إلى تلك المظاهر وتلك القيم والأحكام[1]. فالأمر لدى المسلمين كان هيِّنًا؛ يرحِّبون بالآخر وبما عنده، ولكن ما لم يتعارض مع أحكام الدِّين.

بل إنَّ من آيات هذا المحور أنَّ كثيراً من علماء المسلمين قد أسرف في الحكم بعجمة كلماتٍ كثيرةٍ لمجرَّد قرينةٍ ضعيفة، كالذي انتُقِد مثلاً على أوسع النَّاس جمعاً للمعرَّبات، أعني أبا منصور الجواليقي؛ قال الأستاذ عبد الوهّاب عزّام في تقديمه للكتاب واصفاً إسراف الجواليقي في الوصف بالعجمة[2]: «ويؤخذ على المؤلّف، وكثير ممّن تكلّموا في الألفاظ المعرّبة (...) المسارعة إلى دعوى العجمة في ألفاظٍ لا يستبين الدّليل على عجمتها، وكأنّهم حسبوا أنّ وقوع لفظٍ في العربية وغيرها، أو مقاربة لفظٍ عربيٍّ للفظ أعجميٍّ في بنيته ومعناه، يكفي في الدّلالة على أنّ العربية نقلت عن غيرها هذا اللّفظ الموافق، أو ذاك اللفظ المشابه. وهذه سبيلٌ يكثر فيها الغلطُ، ويلتبس على غير المتثبّث فيها الخطأ والصّواب».

3/ محور التواليف التي تركِّز على الخصائص اللُّغويَّة من جهةٍ، والمعالم الحضاريَّة للأمَّة الإسلاميَّة من جهةٍ أخرى:

كما نلاحظ ذلك –مثلاً– في المعجمات المرتَّبة على أساس الموضوعات، حيث كانت تتعلَّق بالبيئة العربيَّة التي نزل فيها القرآن الكريم، ولنا أمثلة أخرى في فنون المقامات وليكن النَّموذج من مقامات الحريري، وتحديداً بشيءٍ يتعلَّق بالمعالم الدِّينيَّة في الحياة الإسلاميَّة العامَّة، والتي لم تكن تستغني عن الفتوى كما لا يستغني المفتي عن اللُّغة وتجويدها، وهو ما أراده أحمد بن فارسٍ صاحب المقاييس من وضعه لكتابه: "**فتيا فقيه العرب**" ليلفت نظر الفقهاء إلى مكانة اللُّغة من علومهم؛ وهو ما أخذه عنه الحريري في المقامة التي اتَّخذناها مثالاً، وهي المقامة الثانيَّة والثلاثون[3]، والمسمَّاة بالطِّيبيَّة. وتجد فيها إلقاء فتًى لبيب مائة مسألةٍ فقهيَّةٍ على أبي زيدٍ السَّروجي صاحب الكديَّة، والذي يدَّعي في هذه المقامة أنَّه فقيه العرب على الإطلاق. وظاهر السؤال والجواب بينهما أنَّ الفقيه يحلُّ الحرام ويحرِّم الحلال، ولكن بحسب اتِّفاق الألفاظ، فإذا علمت المعاني ازداد المرء مع الطرافة علماً بلغة القرآن، وإعظاماً لها. فانظر مثلاً إلى هذا:

1– محمَّد حسن عبد العزيز:التعريب في القديم والحديث مع معاجم للألفاظ المعربة؛ (دط) دار الفكر العربي: القاهرة– مصر، ص 9.

2– أبو منصور الجواليقي: المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، ت أحمد شاكر،(ط2)، مطبعة دار الكتب،(دب)،1969،ص03

3– أبو محمَّد القاسم بن علي بن محمَّد بن عثمان الحريري البصري: المقامات، (دط)، دار الفكر: بيروت– لبنان، (دت)، ص333.

- المستفتي: أيجب الغُسلُ على من أمنى؟ (المتبادر إلى الذِّهن خروج المنيِّ، والحكم وجوب الغسل).
- المفتي: لا ولو ثنَّى! (والمقصود من نزل بمنَى).

4/ محور النَّص الدِّيني والتَّعاليم الدِّينيَّة:

والذين لم يهملا جانب الأمم السابقة والحاضرة والآتية، من خلال ما قصَّه الله تعالى من الأنباء في القرآن الكريم، بالإضافة إلى القصص النبوِّي، وكلُّ ذلك يزوِّدنا بمعالم البيئات في كلِّ أحوالها وظروف أهلها.

سادسًا: مشكلات انعدام التَّواصل اللُّغوي الحضاري: وهي كثيرةٌ عاجزٌ أنا عن ضبطها، لذلك سأكتفي ببعضها فقط:

1/ **قيام العصبيات البغيضة:** لأنَّني إن لم أفهم لغة قومٍ، لن أفهم طريقة تنظيم فكرهم، وبالتَّالي جهلت طبائع نفوسهم، ونُظم اجتماعهم وعمرانهم، وبالتَّالي قد أحكم عليهم حكماً خاطئاً مستمدًّا من نفسيَّتي ونفسيَّات قومي، ونظمنا الاجتماعيَّة، وقد يتطوَّر الأمر – ولا بدَّ– إلى مشاحناتٍ تُفضي إلى ما لا يحمد عقباه؛ واذكر إن شئت قول الذين أسلموا، ولكن بقولهم: "صبأنا صبأنا" كيف قُتلوا خطأً.

ولدينا نحن معشر المسلمين فسحةٌ كبرى فيما لا يتعلَّق بالحلال والحرام، أن نمدَّ جسور التَّعارف والتواصل بيننا وبين الذين يخالفوننا في العقيدة، بحيث يكون ذلك وسيلةً ناجعةً في بلاغ الرِّسالة إلى أقوامٍ لا يعلمون حلاوة اللغة العربيَّة، ليتوصَّلوا بها إلى تفهُّم معاني القرآن العظيم.

2/ قيام الحواجز الفكريَّة بسبب الجهل بالآخر: وهذا أمرٌ ينبغي التفطُّن إليه، فإنَّ النَّاس قد خُلقوا متباينين مختلفين في ألسنتهم وألوانهم وجسومهم وأحلامهم وأذواقهم...إلخ، وقد استقر في خُلق النَّاس النُّفور ممَّا يخالف مألوفهم أيًّا كان؛ وعادةً ما يعادي المرء من يختلف عنه، وما يُخالفه وما يجهله، فيقع في سوءٍ، أو تفوته مصالح بسبب ذلك، وهو ما قد يؤدِّي إلى الصِّراع بمختلف أشكاله. وليس من وسيلةٍ تزيل تلك الحواجز مثل اللُّغة، وإنَّ من البيان لسحراً.

3/ إعاقة التطوُّر الإنساني: حيث إنَّ المجهود الإنساني محدودٌ، وإذا ما أهدر في الخلافات اللَّفظيَّة، أو الأمور التي لا يضرُّ فيها الاختلاف، فإنَّ البشريَّة ستمنى ولا بدَّ بانتكاساتٍ لا مخرج منها؛ وهنا يأتي نور الإسلام الذي يجلِّي الحقائق، ويُبين أنَّ همم البشريَّة ينبغي أن تنصرف إلى إنقاذ نفسها من النَّار؛ وأمَّا سائر المظاهر الاجتماعيَّة المتباينة فليكن موقفها منها التَّعارف بين الشُّعوب والقبائل.

4/ انقطاع التَّواصل بين أجيال الحضارة الواحدة: بحيث إذا جهل الآخر فِعل الأوَّل، فإنَّه إمَّا أن يكرِّر أخطاءه، أو يبني عليها ويواصل الهدم، إن كان من بين الأجيال السَّابقة من افتتح ذلك الباب؛ أو أنَّه بجهله بأمجاد الأوَّل وتضحياته –إن كان محسناً– يهدمها؛ أوليس ينقض عرى الإسلام عروةً عروة، من نشأ في الإسلام لا يعرف الجاهليَّة؟!

المبحث الثاني: قراءة في نموذج ألماني.

أوَّلاً: الوصف العام للبرنامج.

« الألمانيَّة، لم لا؟ Deutsch warum nicht »: هو برنامجٌ لتعليم اللُّغة الألمانيَّة عن طريق الرَّاديو؛ لـ "هيراد ميز Herrad Meese"؛ ورُعاتُه هم: الإذاعة الألمانيَّة الشَّهيرة: DEUTSCHE WELLE[1] والإذاعة الألمانية DEUTSCHLANDFUNK ومعهد[2] غوته الألماني GOETHE-INSTITUT INTERNATIONES

ثانياً: مكوِّناته.

1/ **أربعة كتبٍ:** حيث كلُّ كتابٍ يضمُّ ستَّة وعشرين درساً (26 Lektionen)؛ وفي آخر كلِّ كتاب يجد المتعلِّم ملحقاً خصِّص لجمل قواعد اللُّغة الواردة فيه؛ ثمَّ ملحقاً آخر فيه حلول التمرينات الواردة في الدُّروس؛ ثمَّ ملحقاً ثالثاً فيه معاني الألفاظ وبعض العبارات؛ ثمَّ ملحقاً أخيرًا فيه الترجمة الكاملة لكلِّ النصوص الواردة في كلِّ جزءٍ.

1- أنقل هذا التعريف بالهيئة ككل من خلال موقعهم على الشبكة: «www.dw-world.de» "دويتشه فيله" حيث قالوا: هي صوت ألمانيا المرئي والمسموع والمقروء إلى العالم الخارجي؛ ورغم أن إنشاء هذه المؤسسة وتزويدها بالدعم المالي الضروري جاءا بناءً على قوانين ولوائح حكومية رسمية، تلتزم المؤسسة في عملها الصحفي الاستقلالية التامة ولا تنحاز إلا إلى الحقيقة. ومن خلال أقسامها الثلاث الرئيسية "تلفزيون دويتشه فيله DW-TV"، "إذاعة دويتشه فيله" و "موقع دويتشه فيله الالكتروني DW-WORLD.DE" تسعى المؤسسة إلى أن تكون "بطاقة تعريف" بألمانيا إلى العالم الخارجي. إضافة إلى ذلك قامت المؤسسة بإنشاء "أكاديمية دويتشه فيله" لإعداد وتدريب الصحفيين الألمان والأجانب.

2- هو معهد عريق في نشر اللغة والثقافة الألمانيتين، له 16 فرعاً في ألمانيا، وأكثر من 72 في العالم، انظر موقعهم على الأنترنت: www.goethe.de

الجزء الأوَّل

الجزء الثاني

الجزء الثالث

الجزء الرَّابع

2/ **أربعة أشرطةٍ سمعيَّة:** حيث كلُّ شريطٍ يتوافق مع جزءٍ من الأجزاء الأربعة للبرنامج، ومدَّة كلٍّ منها تسعون دقيقة؛ وأمَّا مادَّة الشَّريط فهي قراءة النُّصوص الستَّة والعشرين لكلِّ جزء، وتلك القراءة كانت تفاعليَّة، بحيث أُدمجت فيها المؤثِّرات[1] الصَّوتية المختلفة من أجل أن يوضع المستمع في ذات الظُّروف التي تجري فيها المحادثات المختلفة، وليكتسب المستمع طرائق النَّبر والتَّنغيم في اللُّغة الألمانيَّة.

ثالثاً: طريقة صياغة محتوى الدَّرس.

يتكوَّن الدّرس من أربعة أقسام:

1/ **ملخَّص قواعد اللُّغة.**

2/ **حوار.**

3/ **شرح مفردات وعبارات:** وأمَّا الجزء الرَّابع فيستغنون عن ذلك، لأنَّ المتعلِّم قد صار في غُنيةٍ عنه.

4/ **تمرينات تطبيقيَّة:** وهي تختصُّ عموماً بقواعد اللُّغة، واستعمالاتها، وفنون التركيب، ونحوها؛ وحلولها مثبتةٌ في آخر الكتاب؛ عددها –في كلِّ درسٍ– في المتوسِّط أربعة، تصل إلى الستَّة، وقد تؤول إلى الواحد[2]، وقد لا تجد –وهذا نادرٌ– تمريناتٍ أصلاً[3].

1– هم قد راعوا في هذا البرنامج أنّه للمبتدئين بمختلف مستويات الابتداء، فلذلك لم تكن تلك المؤثِّرات بالقوَّة التي قد تشوِّش على ذهن المستمع؛ ولكن في مستوًى أعلى من ذلك قليلاً يحتاج المرء إلى تقويَّة تلك المؤثِّرات؛ وهو ما وجدته في برنامج آخرَ تفضَّلوا بإرساله إليَّ بعد البرنامج الأوَّل؛ وهو برنامج: «Deutsch wieso nicht ?» حيث يتدرَّب المتعلِّم على تمييز الكلام من قائليه في ظلِّ الظروف الواقعيَّة التي تُقال فيها بين رفع الصَّوت وخفضه؛ وفي حالات غلبة النُّعاس، والغضب والحزن، والبكاء والفرح، وفي مدرَّجات الملاعب ومحيطها، و...الخ.

2– كما هو الحال في الدرس الأول من الجزء الأول (14/1).

3– كما هو الحال في الدرس الثالث من الجزء الرَّابع (21/4).

رابعاً: معالم ربط المتعلّم بالبيئة الألمانيَّة وخصائصها وإحداث التواصل معه:

أ/ العملة والمدن:

حيثُ في أوَّل الجزء الأوَّل نجد خريطة[1] للدول الناطقة بالألمانية ثمَّ العملة[2] الألمانية مع إثبات صور النقد، وذلك قبل استبدال المارك بالأورو. ويبتدئ الجزء الثاني بخريطةٍ لمدينة آخن "Aachen". وفي[3] التَّمرين الثالث من الدَّرس الأوَّل في الجزء الثَّاني من السِّلسلة طُلِب من المتعلِّم أن يستخدم الخريطة المرفقة لمدينة آخن ليبيِّن – بالعبارات– كيف يمكنه السُّلوك من "**فندق أوروبا**" إلى مجموعةٍ معيَّنة من شوارع المدينة، مع التنبيه على أنَّ تلك الخريطة حقيقيّة وصغيرة ودقيقة.

ويستمع الدَّارس في الدَّرس الأوَّل إلى غناءٍ لكلماتٍ للشَّاعر الألماني الرَّمز: "غوته Goethe"

وفيما يتعلَّق بالمدن والأماكن الألمانيَّة فعلينا الانتظار إلى الدرس الثامن من الجزء الأوَّل حتى نجد[4] Augsburg، ثمَّ Köln؛ ثمَّ مدينتا[5]: برلين وليبزيج "Berlin und Leipzig" في الدرس التَّاسع. ومدينة آخن "Aachen" ابتداءً من الدرس[6] الرابع عشر؛ وهي المدينة التي تدور فيها معظم أحداث السلسلة؛ ومدينة "Essen"[7] في الدرس الحادي والعشرين. وفي التمرين الثاني[8] من الدرس السابع من الجزء الثاني —والذي يُراد منه تدريب المتعلِّم على معرفة التوقيت– نجد جدولاً بالرَّحلات من مدنٍ ألمانيَّةٍ وإليها. وفي أوَّل[9] الجزء الثالث نجد خريطةً لمدينة برلين.

ثمَّ إنّ الأمر لن يتوقَّف عند حدود ذكر أسماء المدن والأماكن مجرَّدةً، بل سيغوصون بالقارئ المتعلِّم إلى ربطه عاطفيًّا بالأماكن وتهييج روح الفضول لديه، حتَّى تنحفر في عمق ذاكرته معلومات وصورٌ لأشياء لم يرها

1- ص9.
2- (12-11/1).
3- (19/2).
4- (38/1).
5- (42/1)
6- (60/1).
6- (87/1).
8- (42/2).
9- (13/3).

ولكنَّه يحبُّها ويحبُّ لو أنَّ الظروف تأذن له في رؤيتها. فيجد سائحاً وزوجته يقرآن مطويَّةً سياحيَّةً عن مدينة آخن –وكأنَّهما يُسمعانه– فيقولان عنها وعن معالمها الجميلة[1]:

آخن: المدينة التي تقع في قلب أوروبا، على مقربةٍ من الأراضي المنخفضة وبلجيكا.	Aachen ; Die stadt im herzen von Europa, gleich neben den Niederland und Belgien.
آخن: مركز الثقافة.	Aachen ; das kunstzentrum.
آخن: مدينة الدفء والحمَّامات.	Aachen ; die kur und badestadt.
آخن: المدينة الخماسيَّة التصميم.	Aachen ; die kongreßstadt.
آخن: جنَّة التسوُّق.	Aachen ; die stadt mit flair, die city ist ein einkaufsparadies.

ولا يتوقَّف الأمر عند هذا الحدِّ؛ بل نجد Andreas –وهو شخصيَّة محوريَّة في الأحداث– يقوم بتقريرٍ[2] صحفيٍّ عن مدينة آخن، يسأل النَّاس عن معنى كلمة Aachen وتاريخيَّتها؛ حيث لـمَّا نزل بها الرُّومان أطلقوا عليها اسم: "Aqua" والتي معناها : "**ماء**"؛ وبعد ذلك أطلق عليها الجرمان اسم: "Ahha" وهي بنفس المعنى: "**ماء**". وحينئذٍ ينقدح في النَّفس شيءٌ من الفضول لمعرفة السبب الذي جعلهم جميعاً يسمُّونها كذلك؛ فيأتي الجواب بأنَّ هذه المدينة غنيَّة بالينابيع "Quellen".

وأنا كمتعلِّم وجدتني أن لو عُرِّفت بأنَّ مدينة آخن شهيرة بينابيعها، ما كنت لأحفظ ذلك، كحفظي له يومَ عرفت معنى اسمها، فالحفر ذلك في ذاكرتي حتَّى لا أكاد أنساه.

ثمَّ في الدَّرس الذي يليه حيث يزور Andreas أبواهُ[3]، فيعرِّفهما بالمدينة التي يدرس بها ويعمل؛ فيعرِّفني معهما بأنَّها لا تطلُّ على البحر، ومن العيون التي بها: "عين إيليز Elisenbrunen" والتي ترجع إلى العام 1827م، وطعم مائها مرٌّ، لكنَّه صحِّيٌّ للغاية Sehr gesund؛ وبها كذلك الكنيسة الشهيرة: Der Dom، وكان بها شارلومانKarl den Großen .

نجد في الدرس[4] السادس عشر من الجزء الثالث خريطةٍ ببعض المدن الألمانيَّة وما اشتهرت به من خصائص، وصناعاتٍ على وجه التَّحديد؛ وذكراً لنهر[1] الراين Der Rhein العظيم.

1- (50/3).
2- (80/2).
3- (84/2).
4- (95/3).

ب/ الشَّخصيات التَّاريخيَّة:

وسواءٌ تعلَّق الأمر بالألمان، أم بالذين يربطهم التَّاريخ بالألمان، ففي الدرس[2] التَّاسع عشر من الجزء الثاني والمعنون بـ: "كيف نخاطِب قيصراً؟ ? Wie spricht man mit einem Keiser" فيه حوار متخيَّل مع القيصر الشهير: «Karl der große» واسمه مأخوذ من العبارة: «Carolus Magnus». الذي تعيَّن إمبراطوراً رومانيًّا في سنة ثمانمائة ميلاديَّة بروما، كذلك يدعوه الألمان؛ وأمَّا الفرنسيُّون فيدعونه: «Charlemagne»؛ وأمَّا الإيطاليُّون فيسمُّونه: «Carlo Magno».

وفي ثنايا الحوار يسأله Andreas عن رأيه في مدينة Aachen فيجيبه بإعجابه الشديد بها، وينابيعها، وعيونها الصحِّيَّة؛ ثمَّ يخبره Andreas أنَّه –أي القيصر– معروفٌ ومحبوبٌ في Aachen، وأنَّ الإتِّحاد الأوروبي قد أحدث جائزةً باسمه ولذكراه: "Karlspreis".

ج/ الحياة الألمانيَّة اليوميَّة:

نجد مثلاً الكلام عن نصب سوق[3] الأشياء المستعملة[4] –مع استمرار أحداث السلسلة وشخصياتها الرئيسة– ونوعيَّة النَّاس الذين يبيعون فيها والذين يشترون، ونوعيَّة السلع المعروضة؛ حيث يجد المتعلِّم في هذه السوق سلوكات حضاريَّة، لا بدَّ أن تثير إعجابه.

نجد كذلك ثقافة الرَّقص والذهاب إلى المرقص –ولكن بأسلوبٍ بعيدٍ عن الابتذال من حيث العرض–: حيثُ تقول[5] "Ex" إنَّها تفضِّل الذهاب إلى الديسكو "! Und Ich will in die disco".

نجد الثقافة السياحيَّة كسفر Andreas وربَّة عمله، والدكتور Thürman إلى منطقة Loreley وعنوان الدَّرس كان كالآتي[6]: "الرحلة إلى لورولاي رائعة Die fahrt zur Lorelay ist wunderschön". ثمَّ رحلته[7] من كولونيا Köln إلى برلين Berlin ، ومروره في أثنائها بحوض الـ Ruhr الذي كان حوضاً صناعياً ملوَّثاً وملوِّثاً إلى غاية العام 1970م حيث صار بعدها منطقةً بها الكثير من

1- (96/3).
2- (88/2).
3- التَّرجمة الحرفيَّة لـ Flohmarket هي سوق البراغيث.
4- (64/1).
5- (55/2).
6- (117-116/2).
7- (96/3).

الجامعات، وبها النشاطات الثقافيَّة المختلفة: أفلام، مسرح، متاحف؛ والأهمُّ في هذا التغيُّر الحضاري أنَّه نشطت المنطقة في مجال التقنيات البيئيَّة.

كذلك دفع الثمن جميعاً أو مفرَّقاً، وربَّما نحن العرب والمسلمين أكثر النَّاس الذين سيلاحظون هذا المسلك ويستهجنه؛ إذ تجد أحدنا يبادر إلى الدفع عن غيره، لكنَّ غالب ما هو موجودٌ عند الغرب –ومنه ألمانيا– أنَّ كلاً يدفع عن نصيبه في المطعم والمقهى؛ وفي القليل من الأحيان يدفع أحدهم عن البقيَّة.

والمرء يلحظ أنَّ ثمَّة مرونةً في عرض هذا الأمر فلم يقولوا هذه عادتنا ولا يهمُّنا ما تقولون فيها؛ وإنَّما خُفِّف أثر وقعها من خلال صياغة العنوان والأحداث جميعاً[1]:

- فأمَّا العنوان فكان: « هل[2] ترغبين في فنجان ثان من القهوة؟ Möchten Sie noch einen kaffee ?». والكلام موجَّه من Andreas إلى ربَّة عمله Frau Berger حين تناولا الغذاء معاً في محلٍّ للبيتزا.
- وأمَّا من حيث الأحداث؛ فقد قسم الكلام على حلقتين ودرسين: فقد أراد Andreas أن يدفع ثمن كلِّ الطعام والشراب عنه وعن ربَّة عمله، لكنَّها رفضت مشفقةً عليه أنَّه طالب بالجامعة لا يملك ما يكفيه في ذلك؛ ثمَّ في الدرس الذي يليه يجد Andreas أنَّه قد نسي حافظة نقوده؛ وإذن: تدفع Frau Berger الفاتورة كاملةً. وأنت ترى أنَّه موقفٌ حرجٌ وقع فيه Andreas، وبسبب سلاسة صياغة الأحداث وحسن سبكها –بلا تكلُّف– ستشعر بجزءٍ من ذلك الإحراج، ينسيك ما استهجنته أوَّلاً.

وعن محبَّة الألمان للتَّماثيل في الحديقة يأتي الكلام لا بالطريقة المباشرة بل من خلال الأحداث في مخاطبة Andreas لـ Ex.: «Du weißt doch : die deutschen finden gartenzwerge toll»، تعلمين أنَّ الألمان يروقهم جدًّا وضع التَّماثيل في الحدائق.

د/ استخدام الحكم والأمثال والأقوال المأثورة:

من ذلك المثل[1] الألماني: «Kommt zeit, kommt rat»: والذي معناه: "سينبئنا الزمان Time will tell".

1- (96/1).

2- الترجمة الحرفيَّة هل ترغبين مرَّة أخرى في قهوة؟

هـ/ التواصل مع بقيَّة الشعوب والثقافات: من ذلك على سبيل المثال:

- فرنسا: كلام عن أناقة المرأة الفرنسيَّة: «Also : rate ! sie ist chic…Andreas : vielleicht eine französin ? Ex : richtig.»[2].
- تركيا: يستمع المتعلِّم في أحد دروس الجزء[3] الثالث إلى حوارٍ بين تركيٍّ وتركيَّة باللُّغة التُّركيَّة.
- كلامٌ عن الملك البروسي: "Friedrich dem Großen" المحبِّ للثقافة والفلسفة والذي لـمَّا ابتنى قصراً في Potsdam استقدم إليه أهلهما، وكان محبًّا للموسيقى –ويعزف المزمار ويضع المقطوعات– وكان –وهنا بيت القصيد– محبًّا للأدب الفرنسي جدًّا.

و/ التَّاريخ الألماني:

في بداية الجزء الثالث نجد معلوماتٍ[4] –على شكل هيكلٍ تاريخيٍّ– عن تاريخ ألمانيا منذ القديم؛ ثمَّ تاريخ[5] مدينة برلين العاصمة الجديدة لألمانيا، وقد بيَّنوا في المقدِّمة أنَّه ابتداءً من النصف الثاني من هذا الجزء سيشعر القارئ المتعلِّم بالنشوة التي سادت هذه العاصمة الجديدة بعد سقوط الجدار، وذلك بواسطة الأحداث التي تعمل الدروس على توظيفها على مسرح هذه المدينة وربطها بها.

وفي درسٍ آخرَ[6] من الجزء الثالث نجد موجزاً عن تاريخ برلين وحائطها من بعد الحرب العالمية الثَّانية. ونجد كذلك كلمة[7] الرئيس الأمريكي: "جون كينيدي" يوم زار برلين: «Ich bine in Berliner» أي: "إنِّي برليني".

يستمع المتعلِّم كذلك في الدرس[8] السابع عشر من الجزء الثالث لخطبةٍ موجزةٍ بُثَّت إذاعيًّا في 1945/5/10م يومين من بعد معاهدة استسلام ألمانيا، ألقاها الكاتب الألماني: Thomas Mann (1875-1955م).

1- (76/1).
2- (31/2).
3- الدرس السابع عشر (100/3).
4- (11/3).
5- (12/3).
6- الدرس السابع عشر (100/3).
7- ويستمع إليها المتعلِّم بصوته وكما قالها.
8- (100/3).

ز/ الغناء:

في الدرس الأوَّل من الجزء الثالث[1] يستمع المتعلِّم إلى قطعةً من أغنيةٍ لممثِّلة ومغنيَّة ألمانيَّة شهيرة تدعى: "Marlène Dietrich" والتي عاشت من سنة 1901م إلى العام 1992م، وعنوان الأغنية: "أخبرني كيف هي الزهور؟ ? "Sag mir wie die blumen sind وأوردوا في الكتاب كلماتها في نحو 40 بيتاً.

وفي الدرس[2] السابع عشر أغنية للفرقة الشَّهيرة: "Comedian Harmonists" وهي من مشاهير ثلاثينيات القرن الماضي. ومقطوعة موسيقيَّة مشهورة عنوانها «Das ist die Berliner luft». ومقطوعة أخرى لـ Peter Igelhof بعنوان: "Das spatzenkonzert" وهي من نفس الحقبة الزمانيَّة.

وفي نفس الدرس نستمع كذلك إلى الكوميديَّة والمغنيَّة الألمانيَّة: Marléne Dietrich والتي ذاع صيتها سنة 1930م بفيلمها: « الملاك الأزرق Der blaue engel» ؛ وتوفيت سنة 1992م ورغبت أن تدفن في مدينتها برلين، وذلك ما نستمع إليه في أغنيتها: « ما تزال لي حقيبة ببرلين Ich hab' noch ein koffer in Berlin».

ح/ المؤلَّفات والكتب:

أُهديَ إلى Andreas بمناسبة عيد ميلاده كتابٌ[3] فيه مجموعة قصصيَّة، ومنها قصَّةٌ أعجبته لـ Sinasi Dikmen عنوانها: « لا عيدَ ميلاد؛ لا تقدُّم Kein geburtstag, keine integration». وهي تحكي قصَّة تركيٍّ لا يعرف متى وُلد؛ حيثُ يسأل جميع معارفه، وكلٌّ منهم يذكر حادثةً –سعيدةً أو محزنة– وقعت له في ذلك اليوم، ولكن من دون أن يعيِّن أحدهم ذلك يوم؛ والقصَّة فيها شيءٌ من الطرافة.

ط/ الإعلاء من الشأن الألماني:

مثلاً بعد نظر سائحين في عروض الطعام الممكن توافره في ألمانيا (كالإيطالي –الذي رأيا أنَّه يوجد في كلِّ مكان– والفرنسي وهما ما هما) وقع الاختيار على تذوُّق[4] الطعام الألماني اللَّذيذ. لكن على العموم لم يكن هذا الإعلاء بالسِمة الواضحة في البرنامج.

1- (17/3).
2- (100/3).
3- (44/3).
4- (34/3).

ي/ الجانب الدِّيني:

فلم يكن له بروزٌ لافت ولكن ثمَّة كلامٌ عن الكنيسة الشهيرة[1]: Der Dom، وشيءٍ عن تاريخها، حيث شُرع في بنائها سنة1248م ثمَّ استأنِف العام 1560م، وانتهت الأشغال بها سنة 1880م.

وأمَّا الجانب اللغوي:

وإن كان كلّ الكلام لخدمة اللُّغة إلاَّ أنَّ الخطاب اللُّغوي المباشر قد غاب عموماً، لأنَّ ما سبق بيانه كافٍ في أن يتعلَّم المرء الألمانيَّة من دون شعورٍ بالمراحل التي يمرُّ بها، ولكن لم يخل الأمر من بعض ذلك حيث –على سبيل المثال– في أوَّل الجزء الثالث يستمع المتعلِّم إلى كلامٍ باللَّهجة البرلينيَّة.

فإذا وصلنا إلى السلسلة الرابعة اجتمعت التَّفصيلات التي سبق التَّمثيل لها في كلِّ الدروس، وبأسلوب بيِّنٍ وجليٍّ. ومع أنَّ الأسلوب أقرب إلى المباشرة والإعلان، إلاَّ أنَّ المتعلِّم لن يجد من نفسه مللاً منه؛ بسبب التوطئات المختلفة وغير المباشرة التي ألقيت في نفسيته المتعلِّمة في الأجزاء الثلاثة الأولى؛ بل سيستبشر بما صرَّحوا به في أوَّل هذا الجزء بأنَّه يركِّز على المناطق الألمانية الشرقية الخمسة التي انضمَّت إلى الجزء الغربي بسقوط جدار برلين سنة 1990م أو ما يعرف بـ: "Die östlichen Bundesländer" وهي: Brandenburg, Mecklenburg-Vorpommern, Sachsen, Sachsen-Anhalt, und Thüringen.

وأنَّهم يرمون إلى تعريف المتعلِّم بالثراء الثقافي والتَّاريخي والطبيعي الذي يسم هذه المناطق.

وأظنُّ أنَّ سبب اختيارهم لهذه المناطق الشرقيَّة هو اهتمام جمهورية ألمانية الفيديرالية بإزالة التباين في مظاهر الحياة بين جزئي ألمانيا سابقاً؛ إذ النظام فيهما كان متباينا على طرفي نقيض، وقد بذلت في ذلك جهودٌ بالغة في الدقَّة والقوَّة وما تزال المسيرة مستمرَّةً في سبيل تحقيق ذلك؛ وحين أقول التباين في مظاهر الحياة فلا أقصد به الموروثات الثقافيَّة ونحوها؛ إذ تفخر ألمانيا بتنوُّع ذلك وثرائه، وتسعى إلى الإفادة منه بكلِّ طريقةٍ وشكل؛ وإنَّما أقصد ما تعلَّق بآثار الإتِّحاد السوفياتي في تلك المناطق، سواء في الجانب البشري والفكري، أو في مختلف الأنظمة الاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

وكان بودِّي أن أستعرض بعض النماذج من هذا الجزء؛ غير أنَّني وجدتني مضطراً إلى إدراج دروسٍ بأكملها، فلنكتفي بما سقناه فيما مضى فإنَّه عموماً لا يخرج عنه، مع ملاحظة أنَّه أكثر كثافةً من ذي قبل.

1- (96/3).

- **الخاتمة.**

من خلال ما مرَّ بنا في طيَّات هذه المقالة، وقفنا على أهميَّة اللغة في إدماج المتعلِّم في مختلف البيئات الحضارية والتَّاريخية والثقافية والاجتماعية لأمَّة تلك اللغة. كما اتَّضح لنا كيفية تركيز الألمان على أقصى تلك الخصوصيَّات؛ واتضح بصورةٍ ثالثة كيفيَّة إسهام ذلك في فهم الآخر؛ والذي من شأنه تقريب البعيد من المسافات بين الأمم والشعوب المختلفة.

وإنَّ ما سقناه في النموذج المختار من تعليم اللغة الألمانيَّة ونشرها في الآفاق، لم نقصد به الدَّعوة إلى اقتفاء أثر القوم خطوة بخطوة؛ لأنَّ التَّجارب السَّابقة قد علَّمتنا وأثبتت لنا أنَّ مثل ذلك من التَّقليد –في أحسن أحواله– سيثمر ثمراً قليلاً، وإنَّما نريد أن ننظر في تجارب غيرنا من الأمم لغرض الإفادة منها من حيث المنطلقات والوسائل والأهداف؛ لكن مع الإدراك الجيِّد للاختلافات التي تَسِمُ لغةً وأمَّةً وتراثاً عن غيرهم، وعلى ذلك أوصي بالآتي:

1/ ضرورة تكوين فريق عملٍ، مكوَّن من المهتمِّين بتعليم اللغات الأجنبيَّة للعرب، والمهتمِّين بتعليم اللغة العربيَّة للعجم، من أجل أمرين هامَّين هما:

- سبر واستقصاء منهجيات التعليم اللغوي ووسائله.
- وضع آليات للإفادة من منهجيات التعليم اللُّغوي ووسائله التي تمَّ التعرُّف إليها وضبطها.

2/ السعي في وضع برنامجٍ عالمي، وبمواصفاتٍ عالميَّة لتعليم اللُّغة العربيَّة لغير النَّاطقين بها.

قائمة المصادر والمراجع:

- أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: المقاييس في اللغة؛ ت شهاب الدّين أبو عمرو؛ (دط)، دار الفكر: بيروت- لبنان، (دت).
- مجد الدّين محمّد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، ت خليل مأمون شيحا؛ (ط2)، دار المعرفة: بيروت- لبنان، 2007م.
- ول وايرل ديورانت: قصَّة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، (دط) دار الجيل: بيروت- لبنان، 1988م.
- ياسين صلاواتي: الموسوعة العربيَّة الميسَّرة والموسَّعة، (ط1)، مؤسَّسة التَّاريخ العربي: بيروت- لبنان، 2001م.
- معجم اللِّسانيَّات: إشراف جورج مونان؛ ترجمة جمال الحضري، (ط1)، مجد: المؤسسة الجامعيَّة للدراسات والنشر والتوزيع: بيروت- لبنان، 2012م.
- زينب محمود شقير: اضطرابات اللُّغة والتواصل، (ط3)، النهضة المصريّة: القاهرة- مصر، 2002م.
- عبد الحميد الفراهي: مفردات القرآن (نظراتٌ جديدة في تفسير ألفاظٍ قرآنيَّة)، ت محمد أجمل أيوب إصلاحي، (ط1)، دار الغرب الإسلامي: بيروت- لبنان، 2002م.
- أبو منصور الجواليقي: المعرّب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، ت أحمد شاكر،(ط2)، مطبعة دار الكتب،1969م.
- أبو محمَّد القاسم بن علي بن محمَّد بن عثمان الحريري البصري: المقامات، (دط)، دار الفكر: بيروت- لبنان.
- رسالتان في المعرَّب لابن كمال باشا أحمد بن سليمان، ومحمَّد بن بدر الدِّين المنشي، ت سليمان إبراهيم العايد، جامعة أم القرى.
- محمَّد حسن عبد العزيز:التعريب في القديم والحديث مع معاجم للألفاظ المعربة؛ دار الفكر العربي: القاهرة- مصر.
- عبد الرحمن بن خلدون: المقدِّمة؛ ت خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار؛ دار الفكر: بيروت- لبنان، 2001م.
- كتاب التعريفات، علي بن محمَّد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان: بيروت- لبنان، 1985م.
- برنامج « الألمانيَّة، لم لا؟ Deutsch warum nicht » في أربعة أجزاء.
- موقع هيئة دويتشه فيله: www.dw-world.de
- موقع معهد غوته: www.goethe.de
- Encyclopedia Universalis; éditeurs, Paris- France ; 1996.